[158] قال: حتى إذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي، وعبد ا بن عباس، فقال معاوية: مرحبا بابن بنت رسول ا وابن صنو أبيه، ثم انحرف إلى الناس، فقال: هذان شيخا بني عبد مناف، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحب وقرب، وجعل يواجه هذا مرة، ويضاحك هذا أخرى، حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان، يسلمون عليه ويسايرونه إلى أن نزل، فانصرفا عنه فمال الحسين إلى منزله، ومضى عبد ا بن عباس إلى المسجد فدخله. وأقبل معاوية ومعه خلق كثير من أهل الشام، حتى أتى عائشة أم المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده، ولم يدخل عليها معه أحد، وعندها مولاها ذكوان. فقالت عائشة: يا معاوية، أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت أخي محمد بن أبي بكر ؟ فقال معاوية: ما كنت لتفعلي ذلك، قالت: لم ؟ قال: لاني في بيت آمن، بيت رسول ا. ثم إن عائشة حمدت ا وأثنت عليه، وذكرت رسول ا صلى ا عليه وسلم، وذكرت أبا بكر وعمر، وحضته على الاقتداء بهما، والا ابتاع لاثرهما، ثم صمتت. قال: فلم يخطب معاوية، وخاف أن لا يبلغ ما بلغت، فارتجل الحديث ارتجالا، ثم قال: أنت - وا يا أم المؤمنين - العالمة با وبرسوله، دللتنا على الحق، وحضضتنا على حظ أنفسنا، وأنت أهل لان يطاع أمرك، ويسمع قولك، وإن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكد الناس بيعتهم في أعناقهم، وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم، أفترين أن ينقضوا عهودهم ومواثيقهم ؟ فلما سمعت ذلك عائشة علمت أنه سيمضي على أمره، فقالت: أما ما ذكرت من عهود ومواثيق، فاتق ا في هؤلاء الرهط، ولا تعجل فيهم، فلعلهم لا يصنعون إلا ما أحببت، ثم قام معاوية، فلما قام قالت عائشة: يا معاوية، قتلت حجرا وأصحابه العابدين المجتهدين. فقال معاوية. دعى هذا، كيف أنا في الذي بيني وبينك في حوائجك ؟ قالت: صالح، قال: فدعينا وإياهم حتى نلقي ربنا، ثم خرج ومعه ذكوان، فاتكأ على يد ذكوان، وهو يمشي ويقول: تا إن رأيت كاليوم قط خطيبا أبلغ من عائشة بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم، ثم مضى حتى أتى منزله. فأرسل إلى الحسين بن علي، فخلا به، فقال له: يابن أخي، قد استوثق الناس لهذا الامر، غير خمسة نفر من قريش، أنت تقودهم يابن أخي، فما أر بك إلى الخلاف ؟ قال الحسين: أرسل إليهم، فإن بايعوك كنت رجلا منهم، وإلا لم تكن عجلت على بأمر. قال: وتفعل ؟ قال: نعم، قال: فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحدا، فخرج، وقد _____